مجلة متعددة التخصصات للدراسات الإسلامية

AL-IKHSAN

Interdisciplinary Journal of Islamic Studies

ISSN: 2987-0321 (Online) Vol. 2 No. 1 (2024)
DOI: https://doi.org/10.61166/ikhsan.v2i1.33 pp. 1-19

Research Article

و اقع علاقة مجتمع المدينة المنورة بالقرآن الكريم وعنايتهم به في زمن النبي محمد ﷺ

Mahamat Ahmat Ousman Ali[1], **Abdelali Bey Zekkoub**[2]

1. Al-Madinah International University, Malaysia; Mnoor01@yahoo.fr
2. Al-Madinah International University, Malaysia; bey.zekkoub@mediu.edu.my

Copyright © 2024 by Authors, Published by AL-IKHSAN: Interdisciplinary Journal of Islamic Studies. This is an open access article under the CC BY License https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

Received : September 18, 2023 Revised : October 13, 2023
Accepted : March 20, 2024 Available online : April 03, 2024

How to Cite: Ahmat Ousman Ali, M., & Abdelali , B. Z. (2024). واقع علاقة مجتمع المدينة المنورة بالقرآن الكريم وعنايتهم به في زمن النبي محمد ﷺ. *AL-IKHSAN: Interdisciplinary Journal of Islamic Studies*, *2*(1), 1–19. https://doi.org/10.61166/ikhsan.v2i1.33

The Reality Of Al-Madīnah Community's Relationship With The Noble Qur'ān And Their Care For It In The Time Of The Prophet Muḥammad Peace Be Upon Him

Abstract. Abstract. This research highlights the behavior of the community of the Companions, may God be pleased with them, especially in Medina, and specifically in what shows their relationship with the Holy Qur'an, which helps to meet the constant need of Muslim societies for what improves their behavior and makes them more capable of imitating their behavior with the Holy Qur'an. The research followed the inductive and analytical methods. The research showed some disparity in the response of the Medina community to what reached them from the Book of God Almighty. Among them were believers who responded to the light of the Qur'an and were the best example of correct behavior

with the Holy Qur'an, and among them were others who did not respond. The research also showed that what was important in the community of Medina at the time of the Prophet, peace and blessings be upon him: Knowing the truth of the Holy Qur'an, complying with its commands, and being humble when hearing and reciting it.

Keywords: Reality, al-Madīnah Community, the Noble Qur'ān, the time of the Prophet Muḥammad Peace Be upon Him.

ملخص

يأتي هذا البحث لإبراز سلوك مجتمع الصحابة رضوان الله عليهم، وخصوصًا في المدينة المنورة، وبالتحديد فيما يُظهر علاقتهم بالقرآن الكريم، الأمر الذي يساعد لتلبية الاحتياج المستمر لدى المجتمعات المسلمة لما يقوم سلوكها ويجعلها أقدر على الاقتداء بسلوكهم مع القرآن الكريم. واتبع البحث المنهج الاستقرائي التحليلي. وقد أظهر البحث شيئًا من التفاوت في استجابة مجتمع المدينة المنورة لما بلغهم من كتاب الله تعالى؛ فكان منهم المؤمنون الذين استجابوا لنور القرآن وكانوا خير مثال للسلوك الصحيح مع القرآن الكريم، وكان منهم غير ذلك ممن لم يستجيبوا. كما أظهر البحث أن مما كانت له عناية في مجتمع المدينة المنورة زمن النبي ﷺ؛ معرفة حقيقة القرآن الكريم، والامتثال لأوامره، والخشوع عند سماعه وتلاوته.

الكلمات المفتاحية: واقع-سلوك-مجتمع المدينة-القرآن الكريم-زمن النبي ﷺ

مقدمة

الحمد لله أرحم الراحمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه ومن سار على سنته وهديه إلى يوم الدين، أما بعد؛

فقد جاء القرآن الكريم مؤصلًا لمفهوم الاستفادة من التَّجارب البشرية السَّابقة، ومحرضًا على العمل به والاستفادة منه في أمر الدِّين والدُّنيا. وبيَّنَت آيات القرآن الكريم من هُم الذين يجب على المسلمين الاستفادة من سلوكهم واتِّباع خطواتهم؛ فقال ربُّنا I: لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ [الأحزاب: ٢١]، وقال سبحانه: وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ [التوبة: ١٠٠]، وقال سبحانه: لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ [يوسف: ١١١].

وفي هذا السِّياق، وانطلاقًا من مفهوم الاستفادة من سلوك السَّابقين من الصالحين، الذي يؤصِّله القرآن الكريم، ونظرًا لاحتياج المجتمعات المسلمة لدراسة علمية تسلِّط الضوءَ على سلوك مجتمع المدينة المنورة، في كيفية تعامله مع القرآن الكريم، وهو المجتمع الذي عاصر التَّنزيل، يأتي هذا البحث بعنوان: واقع علاقة مجتمع المدينة المنورة بالقرآن الكريم وعنايتهم به في زمن النبي ﷺ.

وتظهر أهمية موضوع هذا البحث بالنظر إلى ما أصَّلته نصوص الكتاب والسنة من طردية الارتباط بين سلوك المجتمعات وتعاملهم مع القرآن الكريم وبين المكانة التي تتبوءها تلك المجتمعات. كما تأتي أهمية هذا الموضوع من مكانة المجتمع الذي عاصر النبي ﷺ، فهم خير القرون بتفضيل النبي ﷺ لهم وإشارته لمكانتهم، فهم أصحاب الفضل والسبق في أمة الإسلام. ومثل هذه الأبحاث تكتسب مزيدًا من المكانة بما يمكن أن توصل إليه من شرف ورفعة من خلال دلالتها على سبيل التأدب بأحسن أدب مع كتاب ربّنا العظيم سبحانه.

ويأتي هذا البحث ليظهر واقع سلوك المجتمع المدني الذي عايش النبي وتعامله مع القرآن الكريم، وليبرز أهمَّ الجوانب التي اعتنى بها ذلك المجتمع في تعامله مع القرآن الكريم.

منهج البحث

تمت كتابة هذا البحث على أساس المنهج الاستقرائي حيث يتتبع الباحث سلوكيات مجتمع المدينة في زمن النبي ﷺ، ويجمعها ويحللها ويضم النظير إلى نظيره في سبيل تكوين صورة واقعية لما كان عليه سلوك المجتمع في المدينة المنورة زمن النبي ﷺ مع القرآن الكريم، وذلك من خلال الاعتماد على كتب السيرة ومراجع الحديث النبوي وتحليل المواقف التي أظهرها أفراد ذلك المجتمع تجاه القرآن الكريم، ثم تصنيفها ووضعها في سياق يجعل القارئ قادرًا على تصور حقيقة تعامل ذلك المجتمع مع القرآن الكريم.

النتائج والمناقشة

1. تمهيد.

1.1. المدينة المنورة بيئة استقرار وتنوع فكري

لقد حظي مجتمع المدينة المنورة بقدر كبير من التفاعل مع القرآن الكريم، لما توفر في المدينة من استقرار وأمن، إضافة لما كان في المدينة من تنوع فكريٍّ وعقدي باعتبار وجود اليهود والمشركين، بخلاف ما كان عليه الوضع في مكة قبل الهجرة. فأمنُ المسلمين أعطى مساحة أكبر للنظر إلى العلاقة بينهم وبين كتاب ربهم، كما أن القضايا القرآنية أخذت اتجاهات مختلفة عما كانت عليه في الفترة المكية، إذ صارت النفس أولى بالعناية من العدو الظاهر الذي لم يعد له تهديد حاضر في أغلب الأوقات، كما أن القضايا العظمى كانت قد تأصلت لدى المسلمين فخوطبوا بفروع المسائل. وأما اختلاط المسلمين باليهود فقد أحدث شكلًا مختلفًا من النقاش لم يكن قد حصل مع القرشيين من كفار مكة، إذ لم يكن لدى القرشيين ما عند اليهود من العلم، وبهذا كان شكل النقاش مع اليهود مختلفًا.

1.2. بداية تفاعل مجتمع المدينة مع القرآن الكريم

قد يكون من أول أشكال تفاعل المجتمع المدني مع القرآن الكريم، ما كان قبيل مقدم النبي ﷺ، حيث عمل أصحابه الذين أرسلهم ﷺ على تعليم أهل المدينة القرآن الكريم، حتى قرأ النساء والصبيان القرآن، وأسلم مِن أشراف أهل المدينة مَن أسلم بعد سماعه شيئًا مِن القرآن الكريم. وكان النبي ﷺ قد بعث مصعب بن عمير رضي الله عنه وأمره أن يقرئ مسلمي أهل المدينة القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمى المقرئ بالمدينة: مصعب (Bin Hisham، 1990). كما جاء من رواية البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: " أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم فجعلا يقرئاننا القرآن، ثم جاء عمار، وبلال، وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ثم جاء النبي ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء، فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان، يقولون: هذا رسول الله ﷺ قد جاء. فما جاء حتى قرأت: سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ [الأعلى: ١] في سور مثلها" (Al-Bukhari، Sahih Al-Bukhari، 2002).

2. تأثير القرآن الكريم على المجتمع في المدينة المنورة

2.1. إسلام سادات بني عبد الأشهل

لقد كان من أثر العناية بتعليم القرآن الكريم، أولَ هجرة الصحابة رضي الله عنهم إلى المدينة، أن أسلم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير رضي الله عنهما. وفي خبر إسلامهما يروي ابن إسحاق: أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل، ودار بني ظفر، وكان سعد بن معاذ بن امرئ القيس ابن زيد بن عبد الأشهل ابن خالة أسعد بن زرارة، فدخل به حائطا من حوائط بني ظفر، على بئر يقال له: بئر مرق فجلسا في الحائط، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل، وكلاهما مشرك على دين قومه، فلما سمعا به، قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أبا لك، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا، فازجرهما وانهما أن يأتيا دارينا، فإنه لولا أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدمًا. قال: فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه وقد جاءك فاصدق الله فيه، قال مصعب: إن يجلس أكمله. قال فوقف عليهما متشتما فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة. فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره؟ قال: أنصفت، قال: ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن، فقالا - فيما يذكر عنهما - والله لعرفنا في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا

الدين؟ قالا له: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك، ثم تصلي. فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إنَّ ورائي رجلًا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن، سعد بن معاذ. ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلا، قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال كلمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأسا، وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك. قال: فقام سعد بن معاذ مغضبًا مبادرًا، تخوفًا للذي ذكر له من بني حارثة، فأخذ الحربة من يده، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئا، ثمَّ خرج إليهما سعد فلما رآهما مطمئنين، عرف أن أسيدًا إنما أراد أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتما، ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة، أما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، أتغشانا في دارينا بما نكره؟ - وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير: أي مصعب، جاءك والله سيد من ورائه من قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان -، قال: فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمرًا ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟ قال سعد: أنصفت. ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، قالا: فعرفنا والله في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم، لإشراقه وتسهله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا: تغتسل فتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين. قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته، فأقبل عامدًا إلى نادي قومه ومعه أسيد بن الحضير. فلما رآه قومه مقبلا قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا، وأيمننا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله. قال فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلمًا أو مسلمة (Bin Hisham، 1990).

2.2. التفاوت في الاستجابة للقرآن الكريم

عمل النبي ﷺ حين قدم المدنية على دعوة من لم يؤمن من أهلها بالقرآن الكريم، وكان يُسمع المؤمنين القرآن الكريم. وقد روى أسامة بن زيد رضي الله عنه: " أن النبي ﷺ ركب حمارًا، عليه إكاف تحته قطيفة فدكية، وأردف وراءه أسامة بن زيد، وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج، وذلك قبل وقعة بدر، حتى مر في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفيهم عبد الله بن أبي ابن سلول، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة، خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم عليهم النبي ﷺ ثم

وقف، فنزل فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي ابن سلول: أيها المرء، لا أحسن من هذا إن كان ما تقول حقًا، فلا تؤذنا في مجالسنا، وارجع إلى رحلك، فمن جاءك منا فاقصص عليه، قال عبد الله بن رواحة: اغشنا في مجالسنا فإنا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود، حتى هموا أن يتواثبوا، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال: أي سعد، ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب - يريد عبد الله بن أبي - قال كذا وكذا قال: اعف عنه يا رسول الله واصفح، فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك، ولقد اصطلح أهل هذه البحرة على أن يتوجوه، فيعصبونه بالعصابة، فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاك شرق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه النبي ﷺ" (Al-Bukhari، Sahih Al-Bukhari، 2002).

فلم يكن الناس بذات المسافة من القرآن الكريم، فبينما كان المسلمون وعامة أهل المدينة يحبون سماعه، ويؤمنون به، ويتأثرون بآياته، إلا أن المجتمع المدني كان به فئات لا تسير ذات السيرة، إذ لم تنشرح له أنفسهم، فلم يؤمنوا به.

3. عناية المجتمع بمعرفة حقيقة القرآن الكريم

لقد كان كثيرٌ من أحاديث النبي ﷺ وتوجيهاته لأصحابه الكرام رضوان الله عليهم تؤصل لمعرفة حقيقة القرآن الكريم، وكيفية نزوله، وعلاقته بالكتب التي أنزلت قبله، وغير ذلك. ومن تلك الأحاديث ما روي عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: "أعطيت مكان التوراة السبع ومكان الزبور المئين ومكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل" (Al-Tabari، 2001). وكذلك ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: "من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول آلم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف" (Al-Tirmidhi، 1996).

3.1. كيفية نزول القرآن الكريم

وظهرت عناية المجتمع المدني، بالوحي وبالقرآن الكريم في مواقف كثيرة، وبدا الاهتمام بمعرفة حقيقة القرآن الكريم وطريقة وصوله للنبي ﷺ، فكان السائل - هو أبو عبد الرحمن الحارث بن هشام القرشي رضي الله عنه، من أشراف اهل مكة، وانتهت إليه سيادة بني مخزوم، أسلم يوم الفتح، وشهد مع النبي حنينًا، وكان ممن أعطاه النبي ﷺ فيها مئة من الإبل، وقد خرج بأهله وماله إلى الشام

مجاهدًا في أيام عمر حتى مات بها في طاعون عمواس-[1] يسأل النبي ﷺ عن الوحي وطريقة إتيانه، فيقول: "يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول" (Al-Bukhari، Sahih Al-Bukhari، 2002).

ويأتي آخر يحب أن يتعرف على كيفية نزول الوحي، ويود لو أنه رأى النبي ﷺ وهو يوحى إليه، فنجد ذلك في حديث أبي يعلى بن أمية رضي الله عنه، إذ قال: "جاء رجل إلى النبي ﷺ وهو بالجعرانة، عليه جبة وعليها خلوق، أو قال أثر صفرة، فقال: كيف تأمرني أن أصنع في عمرتي؟ قال: وأنزل على النبي ﷺ الوحي، فستر بثوب، وكان يعلى يقول: وددت أني أرى النبي ﷺ وقد نزل عليه الوحي، قال فقال: أيسرك أن تنظر إلى النبي ﷺ وقد أنزل عليه الوحي؟ قال: فرفع عمر طرف الثوب، فنظرت إليه له غطيط، قال وأحسبه قال، كغطيط البكر، قال فلما سري عنه قال: أين السائل عن العمرة؟ اغسل عنك أثر الصفرة، أو قال أثر الخلوق، واخلع عنك جبتك، واصنع في عمرتك ما أنت صانع في حجك" (Al-Naysaburi، 1991). فهنا، وإن كان الحديث ليس فيه نزول آية قرآنية إلا أن فيه دلالة على حرص الصحابة رضي الله عنهم على التعرف على الوحي الذي هو طريق نزول القرآن الكريم. وقد كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم يعلمون علو شأن القرآن الكريم وأنه أعظم ما ينزل من الوحي، وقد ينزل وحي ليس من القرآن كما ذكرت عائشة رضي الله عنها، قالت: "ولكني والله ما كنت أظن أن الله ينزل في براءتي وحيًا يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها، فأنزل الله تعالى: إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ [النور: ١١] العشر الآيات" (Al-Bukhari، Sahih Al-Bukhari، 2002).

3.2. خبر الأحرف السبعة

وقد بيَّن النبي كذلك بعض خصائص القرآن الكريم التي منها أنه نزل على سبعة أحرف، كما في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "أقرأني جبريل على حرف، فلم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف" (Al-Bukhari، Sahih Al-Bukhari، 2002).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ كذلك، فكدت أساوره في الصلاة، فانتظرته حتى سلم، ثم لببته بردائه أو بردائي، فقلت: من أقرأك

---

(1) هو أبو عبد الرحمن الحارث بن هشام القرشي رضي الله عنه، من أشراف اهل مكة، وانتهت إليه سيادة بني مخزوم، أسلم يوم الفتح، وشهد مع النبي حنينًا، وكان ممن أعطاه النبي ﷺ فيها مئة من الإبل، وقد خرج بأهله وماله إلى الشام مجاهدًا في أيام عمر حتى مات بها في طاعون عمواس.

هذه السورة؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت له: كذبت، فوالله إن رسول الله ﷺ أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها، فانطلقت أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، وأنت أقرأتني سورة الفرقان، فقال رسول الله ﷺ: أرسله يا عمر، اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرؤها، قال رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت ثم قال رسول الله ﷺ: اقرأ يا عمر فقرأت، فقال: هكذا أنزلت ثم قال: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه (Al-Bukhari، Sahih Al-Bukhari، 2002). وفي هذا الخبر يظهر جانب آخر غير قضية التعريف بالقرآن الكريم وهو اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بحفظ القرآن الكريم وصيانته من كلِّ تحريف أو تبديل.

4. مكانة القرآن الكريم في المجتمع

4.1. بيان فضائل سور القرآن الكريم و آياته

كما كان من مظاهر التعريف بالقرآن الكريم في ذلك المجتمع بيان النبي لفضائل سور القرآن الكريم، في مثل ما روي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة" (Al-Naysaburi، 1991). وكالذي روي عن بريد بن الحصيب الأسلمي عن النبي ﷺ أنه قال: "يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب، فيقول: أنا الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك" (Ibn Majah بلا تاريخ). وغير ذلك مما ورد في فضائل سور القرآن الكريم وآياته.

4.2. فضل محبة القرآن الكريم

ولم تكن معرفة الصحابة رضي الله عنهم بالقرآن الكريم بعيدة عن غيرها من السلوكيات التي كانت أحيانًا سببًا لمزيد من إيضاح النبي لحقيقة القرآن الكريم، وإقراره لبعض ما يقوله أو يعمل به الصحابة الكرام رضي الله عنهم. فنجد مثلًا أن عن عائشة رضي الله عنها، تروي عن النبي ﷺ أنه "بعث رجلا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟، فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: أخبروه أن الله يحبه" (Al-Bukhari، Sahih Al-Bukhari، 2002). ففي هذا الخبر يظهر بوضوح تعريف النبي ﷺ بما تجلبه محبة القرآن الكريم -جعلني الله وإياكم من أهله-.

ويشهد للخبر السابق، ويظهر أثر محبة القرآن الكريم، وعناية النبي ﷺ بالتعريف بفضل القرآن الكريم، ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: "كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء، وكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح: بقل هو الله أحد حتى يفرغ منها، ثم يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلمه أصحابه، فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة، ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بأخرى، فإما تقرأ بها وإما أن تدعها، وتقرأ بأخرى فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر، فقال: يا فلان، ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك، وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة، فقال: إني أحبها، فقال: حبك إياها أدخلك الجنة" (Al-Bukhari، Sahih Al-Bukhari، 2002).

4.3. فضل أهل القرآن ومكانتهم في مجتمع المدينة المنورة

وقد كان من مظاهر سلوك المجتمع المدني تجاه القرآن الكريم العناية بتكريم أهل القرآن الكريم إعلاء شأنهم تبعًا لكرامة القرآن الكريم. فنجد النبي الحبيب ﷺ يخصُّ أهل القرآن الكريم بمنازل تخصهم ويحث الناس على الرجوع إليهم لأخذ القرآن، ويقدمهم للمهام التي لا يقدم لها غيرهم، كل ذلك إشارة منه إلى فضلهم وعلوهم. وربما يتبين لك جانب من هذا السلوك بالنظر إلى ما روي عن ذكر عبد الله بن عمرو وذكر عنده عبد الله بن مسعود، فقال: "ذاك رجل لا أزال أحبه، سمعت النبي ﷺ يقول: خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود - فبدأ به -، وسالم، مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب" (Al-Bukhari، Sahih Al-Bukhari، 2002). فتأمل كيف استقرَّ عندهم حبُّ أهل القرآن وظهرت مكانتهم.

وانظر كذلك إلى جعل النبي ﷺ مكانة خاصة للقراء كما في رواية أنس بن مالك رضي الله عنه: "أن النبي ﷺ أتاه رعل، وذكوان، وعصية، وبنو لحيان، فزعموا أنهم قد أسلموا، واستمدوه على قومهم، فأمدهم النبي ﷺ بسبعين من الأنصار، قال أنس: كنا نسميهم القراء، يحطبون بالنهار ويصلون بالليل، فانطلقوا بهم، حتى بلغوا بئر معونة، غدروا بهم وقتلوهم، فقنت شهرا يدعو على رعل، وذكوان، وبني لحيان، قال قتادة: وحدثنا أنس: أنهم قرؤوا بهم قرآنا: ألا بلغوا عنا قومنا، بأنا قد لقينا ربنا، فرضي عنا وأرضانا، ثم رفع ذلك بعد" (Al-Bukhari، Sahih Al-Bukhari، 2002).

وهنا تبدو لنا مكانة القراء من جهة اختصاص النبي ﷺ لهم، وكذلك من جهة ظهور مكانتهم بين الصحابة رضي الله عنهم حتى جعلوا لهم تسمية خاصة، إضافة إلى ما قرؤوا بهم من قرآن، كلُّ هذه الجوانب تظهر ما كان في المجتمع المدني من عناية بإكرام أهل القرآن ومعرفة لفضلهم.

وقد كان من ظواهر تفضيل أهل القرآن ما روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأبي: "إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن، قال أبي: آلله سماني لك؟ قال: الله سماك لي. فجعل أبي يبكي، قال قتادة: فأنبئت أنه قرأ عليه: لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ [البينة: آية ١]" (Al-Bukhari، Sahih Al-Bukhari، 2002). وكذلك ما روي عن أبي مسعود عقبة بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال: "يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء، فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء، فأقدمهم سلمًا، ولا يؤمن الرجلُ الرجلَ في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه" (Al-Naysaburi، 1991).

فهذه المواقف والأحكام تؤصل لكرامة أهل القرآن تبعًا لما حملوه في صدورهم من كتاب ربهم تعالى. وإكرام حملة كتاب الله شكل من أشكال إكرام القرآن الكريم. وقد استقر هذا المعنى في نفوس ذلك المجتمع حتى صاروا يقدمون صاحب القرآن، ولو وجدوا عليه أحيانًا بعض ما لا يعجبهم، كما في خبر الصحابي الذي كان يلزم سورة الإخلاص.

فلم تكن قضية إكرام أهل القرآن مجرد ممارسات بشرية، بل أكثر من ذلك حتى إن الآية لتنزل بكفر أقوام لمزوا قراء القرآن، فقد جاء في صحيح أسباب النزول، أن رجلًا قال في غزوة تبوك في مجلس يومًا: "ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء لا أرغب بطونا ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ونزل القرآن قال عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: فأنا رأيته متعلقًا بحقب ناقة رسول الله تنكبه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول:أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ۝ [التوبة: ٦٥]" (Al-Wadi'i M.، 2004).

5. امتثال المجتمع للقرآن الكريم وحرصه على العمل به

وقد كان من أبرز مظاهر علاقة المجتمع المدني بالقرآن الكريم، مواقف تبدو فيها عناية ذلك المجتمع بالامتثال لأوامر الوحي واهتمامهم بالتزام هديه. ولن تحتاج لكثير تأمل في سلوكيات ذلك المجتمع حتى تتبين حرصهم على القرآن الكريم وعنايتهم بتلقي ألفاظه ومعانيه. فمن عناية المجتمع المدني بامتثال هدي القرآن الكريم ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: "لما نزلت على رسول الله ﷺ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤ [البقرة: 284]، قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله،

كلفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله ﷺ: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم، ذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها: ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ [البقرة: 285]، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل الله عز وجل: لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ قال: نعم رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ قال: نعم رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ قال: نعم وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦ [البقرة: 286] قال: نعم (Al-Naysaburi، 1991).

فتأمَّل كيف كانت استجابتهم رضي الله عنهم لآيات القرآن الكريم. فلما كان همَّهم امتثال أوامر القرآن الكريم، وكانت عنايتهم منصرفة أول شيء إلى الالتزام بهدايات القرآن الكريم، لم يطيقوا أن تأتي آية تخاطبهم بشيء لا يطيقون الامتثال له، فانطلقوا لرسول الله ﷺ شاكين مصيبة كبيرة حلت بهم، فأرشدهم لذات ما كانوا يهتمون له أن يسمعوا ويطيعوا ويمتثلوا لما بلغهم من كلام ربهم.

وتأمل كيف تأتيهم أوامر كبيرة كأن يؤمروا بتغيير القبلة فيمتثلون في فورهم، وهذا كما جاء فيما روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، إذ قال: "بينما الناس في صلاة الصبح بقباء، إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة، وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشأم، فاستداروا إلى القبلة" (Al-Bukhari، Sahih Al-Bukhari، 2002). فانظر إلى استجابتهم، وانظر إلى الذي جاءهم بالخبر كيف ردهم إلى القرآن وأخبرهم بأنه وحي أنزل، وكأنه بذلك يدلنا على ما كان من مركزية للوحي في حياتهم.

وكذا كانت الاستجابة للوحي في شأن تحريم الخمر، فالاستجابة كانت فورية، وعلاج الهم الذي أصاب بعض الصحابة على من قتلوا وكانوا قد شربوها كان بالقرآن. وفي هذا الشأن يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: "كنت ساقي القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة، وما شرابهم إلا الفضيخ: البسر والتمر، فإذا مناد ينادي، فقال: اخرج فانظر، فخرجت، فإذا مناد ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت، قال: فجرت في سكك المدينة، فقال لي أبو طلحة: اخرج فاهرقها، فهرقتها، فقالوا، أو قال بعضهم: قتل فلان، قتل فلان، وهي في بطونهم. قال [الراوي]: فلا أدري هو من حديث أنس، فأنزل الله عز وجل: لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ۝ [المائدة: ٩٣]" (Al-Naysaburi، 1991).

لقد كان الوحي في المجتمع المدني مَركزًا تجتمع حوله احتياجات المجتمع، فما من صحابي تصيبه مصيبه أو تعرض له حاجة أو تكون له شكاية إلا يأتي القرآن بما يعالجها. ومن ذلك ما جاء في خبر كعب بن عجرة رضي الله عنه، قال: " كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية ونحن محرمون، وقد حصرنا المشركون، قال: وكانت لي وفرة، فجعلت الهوام تساقط على وجهي، فمر بي النبي ﷺ فقال: أيؤذيك هوام رأسك؟ قلت: نعم، قال: وأنزلت هذه الآية فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ [البقرة: ١٩٦]" (Al-Tabari، 2001).

ولم يكن هذا الحرص على تلقي القرآن الكريم والامتثال له قليلًا أو عارضًا، بل كان ثمرة لما أصله النبي ﷺ، بما جاء به من الوحي وبسلوكه العملي، في نفوس أصحابه من ضرورة العناية بتلقي القرآن الكريم والامتثال له. وقد يتبين للناظر شيء من هدي النبي ﷺ في تأصيله لأهمية الحرص على القرآن الكريم وامتثال أوامره، حين يتأمل خبرًا كالذي روى أبو سعيد بن المعلى رضي الله عنه إذ قال: "مر بي النبي ﷺ وأنا أصلي، فدعاني فلم آته حتى صليت ثم أتيت، فقال: ما منعك أن تأتيني؟ فقلت: كنت أصلي، فقال: ألم يقل الله: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ [الأنفال: 24] ثم قال: ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد فذهب النبي ﷺ ليخرج من المسجد فذكرته، فقال: ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته" (Al-Bukhari، Sahih Al-Bukhari، 2002).

فهنا تبدو عناية النبي ﷺ بتأصيل الاستجابة للوحي في نفوس الصحب الكرام رضي الله عنهم، فهو إضافة إلى الموقف الذي تملؤه معاني الامتثال للوحي والاستجابة له يستخدم ألفاظ الوحي ويؤكد ما جاءت به، وقد كان يسعه أن يعبر عن معنى الآية بلفظٍ منه، لكنه ربط الموقف بالاستجابة لكلام الله بحكاية اللفظ القرآني، فقال: "ألم يقل الله يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ [الأنفال: 24]".

6. العناية بتعلم القرآن الكريم وتعليمه

وقد كان من هدي النبي ﷺ أن يحرض الصحابة على تعلم القرآن الكريم ويذكرهم بما يترتب على ذلك من الثواب، فيقول ﷺ: "أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان، أو إلى العقيق، فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم، ولا قطع رحم؟ [يقول الراوي] فقلنا: يا رسول الله، نحب ذلك، قال: أفلا

يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم، أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل، خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل" (Al-Naysaburi، 1991). فصار الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ يقصد إليه ليتعلم القرآن الكريم، كما في حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، أنه قال: "اتبعت رسول الله ﷺ وهو راكب فوضعت يدي على قدمه فقلت: أقرئني يا رسول الله سورة هود، وسورة يوسف. فقال: لن تقرأ شيئا أبلغ عند الله من قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس" (Al-Nasa'i، Sunan Al-Nasa' i، 1930).

6.1. حرص المجتمع على تعلم القرآن الكريم

وقد ظهرت هذه العناية بتلقي كلام الله تعالى في أشكال مختلفة ومواقف عديدة من حياة أفراد ذلك المجتمع، ربما يكون من أكثرها إثارة للعجب أن يكون الصحابي حريصًا على الخير وتلقي القرآن حتى إنه ليتلقى شيئًا منه عمن يجهل حاله فيتبين له بعد ذلك أنه شيطان. وهذا ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه، في قوله: "وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج، وعلي عيال، ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت، فقال النبي ﷺ: يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟ قال: قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة وعيالا، فرحمته، فخليت سبيله، قال: أما إنه قد كذبك، وسيعود، فعرفت أنه سيعود؛ لقول رسول الله ﷺ: إنه سيعود، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني؛ فإني محتاج، وعلي عيال، لا أعود، فرحمته، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك، قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة وعيالا، فرحمته، فخليت سبيله، قال: أما إنه قد كذبك وسيعود، فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ثم تعود، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي: ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ [البقرة: 255]، حتى تختم الآية؛ فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح. فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: ما فعل أسيرك البارحة؟ قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها، فخليت سبيله، قال: ما هي؟ قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح -وكانوا أحرص شيء على الخير- فقال النبي ﷺ: أما إنه قد صدقك، وهو كذوب، تعلم من

تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟ قال: لا، قال: ذاك شيطان" (Al-Bukhari، Sahih Al-Bukhari، 2002).

6.2. المرأة تتعلم القرآن

ولم تكن العناية بتلقي القرآن الكريم مقتصرة على الرجال أو من يجالسون النبي ﷺ بل كانت النساء في بيوتهن يتلقين الوحي ويحفظن كلام الله. وفي هذا السياق يأتي ما ترويه لنا أم هشام بنت حارثة بن النعمان رضي الله عنها حين تقول: "لقد كان تنورنا وتنور رسول الله ﷺ واحدًا، سنتين، أو سنة وبعض سنة، وما أخذت قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ ۚ [ق: ١] إلا عن لسان رسول الله ﷺ، يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس" (Al-Naysaburi، 1991). وفي ذات السياق يأتي حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: إن أم الفضل سمعته وهو يقرأ وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ۙ [المرسلات: ١] فقالت: يا بني، والله لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة، إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب (Al-Bukhari، Sahih Al-Bukhari، 2002).

وفي هذه الأخبار كما تبدو لنا عناية الصحابيات بتلقي الوحي، نرى أيضًا اهتمام رسول الله ﷺ بتعليم كتاب الله تعالى وتبليغه، وهو ما ينبغي على أهل القرآن وطلبة العلم التأسي به.

7. معالجة القرآن الكريم للمشكلات الاجتماعية

ولم تكن صلة المجتمع في مدينة رسول الله ﷺ مقتصرة على معالجة مسائل العبادات دون غيرها، بل كانت إضافة إلى تأصيلها ومعالجتها لمسائل العبادات تعالج القضايا الاجتماعية. فهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تخبرنا بشيء من معالجة القرآن الكريم لقضايا المجتمع فتقول: "تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى عليَّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسول الله، أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبرائيل بهؤلاء الآيات قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ [المجادلة: 1]" (Al-Bukhari، Sahih Al-Bukhari، 2002).

وقد يكون أحد الأمثلة الظاهرة، أيضًا، التي تدل على مكانة القرآن الكريم في حياة المجتمع المدني، ما ورد في شأن الإفك، وفيه يمكن ملاحظة مرجعية القرآن الكريم وما كان له من مكانة مركزية في حياة ذلك المجتمع. فتأمل سلوك النبي ﷺ في ذلك الموقف العصيب، إذ ينال من عرضه ويؤذى في أهله، فما يستطيع إلا أن ينتظر الوحي، ويبقى من ورائه المجتمع بأكمله غير قادر على معالجة الموقف، وتبقى المواقف الإيجابية والسلبية هباء تزداد به الريبة ولا تغير شيئًا. تأمَّل أن السيد المطاع والرسول المتبع لم يملك إلا أن ينتظر الوحي، ولم يكن ذلك يوم أو يومان، بل شهر. وكأن هذا

الموقف يؤصل في نفوس ذلك المجتمع ومن ورائه الأمة أنه يجب على المؤمن أن يرجع إلى الوحي مهما كان الموقف صعبًا ومهما تطلب الوصول للوحي من وقت، وكأنه يعلمنا ألا يسير المجتمع بهواه أو بالظنون. ثمَّ كذلك نرى أبا بكر رضي الله عنه، مع ما هو فيه من الأذى، لا يملك إلا أن ينتظر الوحي.

ففي الموقف السابق تظهر معالجة القرآن الكريم للمشكلات الاجتماعية، كما تظهر مرجعية القرآن الكريم ومكانته من جهة عدم القول بغير علم منه، ومن جهة أخرى تظهر مكانة القرآن الكريم في حياة ذلك المجتمع من خلال تأمل امتثالهم وانتهائهم عن تلك الفرية، وتوبة من كان خاض فيها، حتى إنَّ المنافقين لم يستطيعوا أن يقولوا شيئًا بعد الوحي، وكأنهم بذلك يعلنون ما استقر في نفوسهم من الانتهاء لقول القرآن الكريم حتى لا يبقى لتلك الفتنة أثر. وهذا أبلغ ما يمكن أن يوصل إليه من معالجة المشكلات الاجتماعية.

ومن الأمور التي تظهر درجة ارتباط ذلك المجتمع بالقرآن الكريم، أنَّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي في شدة الموقف استشهدت وتمثلت بقصة قرآنية مع أنها لم تكن تحفظها. وهذا يبين بوضوح ما كانوا عليه من الارتباط بالقرآن الكريم والتمثل لما فيه من المعاني. وفي استجابة أبي بكر رضي الله عنه لقوله تعالى وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ إلى قوله: غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ [النور: ٢٢]، لَدليل إضافي على ما كان للقرآن الكريم من مكانة في قلوب أولئك القوم، حتى إن أحدهم ليسمع الآية فتمحوا من نفسه كل الأذى الذي وجده بأذيته في عرضه.

فكلُّ هذه التفاعلات المجتمعية في هذا الأمر الجلل ترسم لنا لوحة بهية نرى فيها سلوك مجتمع متميز في تعامله مع القرآن الكريم. فيظهر لنا سلوك المظلوم والظالم، ونرى تعاطي الصالح والمذنب، كلٌّ منهم مستجيبًا لما يبلغه من هدي القرآن الكريم. فكيف بنا اليوم لو جعلنا للقرآن هذه المكانة المركزية في مجتمعاتنا، إذًا لزالت كثير من الخلافات، ولسادت الفضيلة، ولعلا شأن الإسلام.

8. الخشوع وتدبر القرآن الكريم والعناية بتلاوته والتغني به

ومن مظاهر علاقة المجتمع المدني بالقرآن الكريم خشوعهم عند سماعه وتلاوته، وحرصهم على تدبره. وأعظم من يؤصل هذا المعنى ويؤكده، في المجتمع المدني، هو رسول الله ﷺ، حين يأمر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فيقول له: اقرأ علي، فيقول ابن مسعود رضي الله عنه: آقرأ عليك وعليك أنزل؟ فيجيبه ﷺ بقوله: فإني أحب أن أسمعه من غيري. يقول ابن مسعود رضي الله عنه: فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغت: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ [النساء: ٤١]، قال: أمسك، فإذا عيناه تذرفان (Al-Bukhari، Sahih Al-Bukhari، 2002).

وكذلك كان كبار الصحابة مع القرآن الكريم حتى عرف عن بعضهم أنه لا يملك نفسه إذا قرأ القرآن، كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه، إذ يقول: "لما اشتد برسول الله ﷺ وجعه قيل له في الصلاة، فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت عائشة: إن أبا بكر رجل رقيق، إذا قرأ غلبه البكاء، قال: مروه فيصلي فعاودته، قال: مروه فيصلي، إنكن صواحب يوسف" (Al-Bukhari، Sahih Al-Bukhari، 2002).

فانظر كيف كانت هذه الصفة يعرف بها الصديق رضي الله عنه، وانظر كذلك كيف أكد النبي ﷺ علوَّها بأن لم يجعلها ضعفًا أو سببًا لعدم الأهلية للقيادة.

وقد كان من عناية الصحابة رضي الله عنهم بتدبر القرآن الكريم أنهم يحرصون على السؤال عن معانيه. فهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، تروي أنها: "كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه، إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: من حوسب عذب قالت عائشة: فقلت أوليس يقول الله تعالى: فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَّسِيْرًا ۙ [الانشقاق: ٨] قالت: فقال: إنما ذلك العرض، ولكن: من نوقش الحساب يهلك" (Al-Bukhari، Sahih Al-Bukhari، 2002).

وهنا خبر آخر تظهر فيه عناية الصحابة رضي الله عنهم بمعرفة معاني القرآن الكريم، إذ لم يكن مجرد حروف تتلى وإنما معان يخاطب المجتمع فيتفاعل معها. يقول عبد الله رضي الله عنهما: "لما نزلت هذه الآية: ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ۙ [الأنعام: ٨٢]، شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ، وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟! فقال رسول الله ﷺ: ليس كما تظنون؛ إنما هو كما قال لقمان لابنه: يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ ۧ [لقمان: ١٣]" (Al-Bukhari، Sahih Al-Bukhari، 2002).

وربما يمكننا أن ننطلق من قول ابن عمر رضي الله عنهما (شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ)، لنرى شدة عناية الصحابة رضي الله عنهم بمسألة تدبر القرآن الكريم والتفاعل مع معانيه، وهي عبارة كما تدل على عناية أصحاب النبي ﷺ بما يبلغهم من كلام ربهم، تدل بذات القدر على صلاح قلوبهم وسلامتها حتى إنها لا تحتاج أكثر من سماع آيات القرآن الكريم حتى تؤثر فيها، فتجد مشقة شديدة من أن تكون محرومة من الأمن والهداية التي وعد بها القرآن الكريم.

وفي مقابل العناية بصلاح القلوب وتفاعلها مع القرآن الكريم فقد كان من مظاهر علاقة المجتمع المدني بالقرآن الكريم، العنايةُ بتلاوة القرآن الكريم والتغني به والاستماع إليه. ومن أمثلة هذا السلوك ما روى أبو سعيد رضي الله عنه: " أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده، إذ جالت فرسه، فقرأ، ثم جالت أخرى، فقرأ، ثم جالت أيضا، قال أسيد: فخشيت أن تطأ يحيى، فقمت إليها، فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج، عرجت في الجو حتى ما أراها، قال: فغدوت على

رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي، إذ جالت فرسي، فقال رسول الله ﷺ: اقرأ ابن حضير قال: فقرأت، ثم جالت أيضا، فقال رسول الله ﷺ: اقرأ ابن حضير قال: فقرأت، ثم جالت أيضا، فقال رسول الله ﷺ: اقرأ ابن حضير قال: فانصرفت، وكان يحيى قريبا منها، خشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج، عرجت في الجو حتى ما أراها، فقال رسول الله ﷺ: تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم" (Al-Naysaburi، 1991). وأيضًا ما جاء عن أبي موسى رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال له: "لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود" (Al-Naysaburi، 1991).

وكانت العناية بتلاوة القرآن الكريم في كل مستويات المجتمع وفي كل الأوقات، كما يظهر هذا في الأثرين السابقين، وكذلك في أخبار كثيرة من أخبار ذلك المجتمع، ربما يكون من أدلها على هذا المعنى ما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله ﷺ يتكئ في حجري وأنا حائض، فيقرأ القرآن" (Al-Bukhari، Sahih Al-Bukhari، 2002).

خاتمة

ختامًا فإن الحمد لله أجمعه بما منَّ مِن تيسير تتبع هذه السلوكيات التي تمثل أسوة عظيمة لمن أراد الاهتداء إلى أنوار القرآن الكريم. وإنه بما مضى من تتبع الواقع السلوكي للمجتمع في مدينة رسول الله ﷺ، ومن بعد النظر والتحليل يظهر للباحث أن عناية ذلك المجتمع في تعامله مع القرآن الكريم انصرفت عدد من الجوانب، وهي ما يلي:

1. لقد اعتنى المجتمع في المدينة المنورة بالامتثال لأمر القرآن الكريم واتباع أوامره حتى إنه لم يكن أحد يخالف ما يأتي به القرآن ولو كان غير مؤمن به، كما في حال المنافقين.
2. ومن الجوانب التي اعتنى به المجتمع في المدينة المنورة معرفة حقيقة القرآن الكريم.
3. ومن الجوانب المهمة التي اعتنى بها ذلك المجتمع تعلم القرآن الكريم وتعليمه.
4. وقد كان ظاهرًا أيضًا حرص أفراد ذلك المجتمع على تلاوة القرآن الكريم وتدبره.
5. كما كان من مظاهر علاقتهم بالقرآن الكريم خشوعهم عند سماع آياته أو تلاوته.

التوصيات والمقترحات:

وعليه يجدر بنا العناية بكل ما يساهم في تحسين علاقتنا بالقرآن الكريم وعلاقة مجتمعاتنا المعاصرة بالقرآن الكريم، والتي من أهمها؛ زيادة الاهتمام بسلوك مجتمع الصحابة رضي الله عنهم، الاهتمام بالجهات التي تعتني بدراسة سلوك المجتمعات مع القرآن الكريم ودعم جهودها، وكذلك الحرص على الاقتداء بسلوك المجتمع المسلم في مدينة رسول الله ﷺ.

شكروعرفان

هذه مستلة علمية من الرسالة العلمية المقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في برنامج التفسير وعلوم القرآن سنة 2022-2023؛ لغرض استكمال شرط التخرج الأكاديمي، ويسرني في هذا المقام أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير للأستاذ المشارك الدكتور عبد العالي باي زكوب، المشرف على رسالتي للدكتوراه، والمراجع لهذه المستلة العلمية، على ما بذله من نصح وتوجيه، كما أقدم الشكروالتقدير لجامعة المدينة العالمية التي منحتني فرصة استكمال دراسة مرحلة الدكتوراه، ولا يفوتني أن أشكر كل من كان له فضل عليَّ من المعلمين والموجهين والمربين، وأخيرًا أختم بشكر والديَّ وأسرتي، وأشفع الشكر بدعاء خالص بالتوفيق لهم أجمعين.

REFERENCES

Abdelali, B. Z. (2015, 12). The Objectives of the Qur'ān for the Education of Islamic Beliefs in Sayyid Qutb's Tafsīr: A Selective-Analytical Study. AlBayan, pp. 128-158.

Abu Ubaid, A.-Q. b.-H. (n.d.). The Virtues, Milestones, and Etiquette of the Qur'an, . Morocco: Ministry of Endowments and Islamic Affairs.

Al-Aqab, A. H.-R. (n.d.). Educational Values of Time Management in the Life of a Muslim. Sudan: Sudan University of Science and Technology.

Al-Ashqar, M. S. (2003). The actions of the Messenger, peace and blessings be upon him, and their significance on the legal rulings. Beirut: Al-Resala Foundation.

Al-Bukhari, M. b. (1989). Al-Adab Al-Mufrad. Beirut: Dar Al-Bashaer Al-Islamiyyah.

Al-Bukhari, M. b. (2002). Sahih Al-Bukhari. Damascus: Dar Ibn Kathir.

Al-Dhahabi, M. A. (1990). The History of Islam and the Deaths of Celebrities and Notables. Lebanon: Dar Al-Kitab Al-Arabi.

Al-Hakim, M. b. (1990). Al-Mustadrak on the Two Sahihs. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Al-Khudairi, M. b. (1420). Interpretation of the Successors: A Presentation and Comparative Study. Riyadh: Dar Al-Watan.

Al-Nasa'i, A. b.-K. (1930). Sunan Al-Nasa' i. Cairo: The Great Commercial Library.

Al-Nasa'i, A. b.-K. (1990). Tafsir Al-Nasa'i. Beirut: Cultural Books Foundation.

Al-Naysaburi, A. A.-H.-H.-Q. (1991). Sahih Muslim. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Al-Razi, I. A.-R. (1997). Interpretation of the Great Qur'an on the authority of the Messenger of God, peace and blessings be upon him, the Companions and the Followers,. Riyadh: Nizar Mustafa al-Baz Library.

Al-Sarhan, S. b. (2015). The elevation of the Prophet's status before his Lord Almighty in the Holy Qur'an. Jeddah: Dar Al-Tafsir.

Al-Tabari, M. I. (2001). Jami' al-Bayan on the Interpretation of Verses of the Qur'an. Cairo: Dar Hajar.

Al-Tirmidhi, M. b. (1996). Al-Jami' Al-Kabir (Sunan Al-Tirmidhi). Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami.

Al-Wadi'i, M. b. (2004). Al-Sahih Al-Musnad Min Asbab Al-Nuzul. Sana'a: Sana'a Archaeological Library.

Al-Wadi'i, M. b. (2004). Al-Sahih Al-Musnad Min Asbab Al-Nuzul,. Sana'a: Sana'a Archaeological Library.

Al-Wahbi, F. b. (2007). The Method of Deduction from the Holy Qur'an, . Jeddah: Center for Qur'anic Studies and Information at the Imam Al-Shatibi Institute.

Al-Wahbi, F. b. (2007). The Method of Deduction from the Holy Qur'an. Qur'anic Studies and Information at the Imam Al-Shatibi Institute.

Al-Wahidi, A. b. (1991). Reasons for the Revelation of the Qur'an. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Armidi, H. (2018). Social Behavior, Its Islamic Characteristics and Types. Retrieved from academia: https://www.academia.edu/42044465/

Bin Hisham, A. a.-M.-H. (1990). The Biography of the Prophet,. Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi.

Ibn Majah, M. b.-Q. (n.d.). Sunan Ibn Majah,. Cairo: Dar Ihya Al-Kutub Al-Arabiya - Faisal Issa Al-Babi Al-Halabi.

Khalaf Allah, M. A. (1950/1951). Narrative Art in the Holy Qur'an.

Selim, M. B. (1987). The Holy Qur'an and Human Behavior. Egypt: Egyptian General Book Authority.

Toniolo, A.-M. (2009, 1). Le comportement : entre perception et action, un concept à réhabiliter. L'Année psychologique, pp. 155-193.